

الغيب وال ساعات المغلقة



الشيخ عماد مجوت

الإيمان بالغيب سمو ذاتي يبني النفس، ويعينها فاعلية الحياة والاستفادة من فرصتها في التقديم للدار الآخرة.

والمؤمن من يجعل فوق الأسباب الطبيعية تدخلات يد الغيب في الساعات المغلقة ليفتح نافذة من الأمل والتفائل.

نعم طبيعة الإنسان في هذه الساعات التي تغلق عليه مفاتيح الأسباب الطبيعية تفرض عليه الشعور بالقلق، الذي يسد معه كل فرص الإستفادة من القابليات المودعة فيه، بما فيها التفاؤل والأمل الباقيين فيه محركية التغيير والبقاء .

والقرآن الكريم أهتم كثيرا في ربط الإنسان بالغيب ليأمن له استشعار حالة تجاوز الانغلاق وأثاره النفسية عليه، ليفتح له باب الإرتفاع فوق الأسباب الطبيعية.

وقد رسم القرآن الكريم صورا متعددة لتدخلات يد الغيب في الساعات المغلقة ل يجعلها درسا تربويا للإيمان بالغيب وخلق حالة نفسية سامية عنده وأملا بناءا.

ومن هذه الصور ما ذكره تعالى لحالتين متقابلتين يجمعهما التعويل على الأسباب الطبيعية، مع أن أحدهما يفترض فيها أنها مؤمنة تختلف عن الأخرى بنظرتها، غير أنها قصرت نظرتها على الأسباب متناسية مسبب الأسباب ويده الغيبية، كما يبينه تعالى في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لَا وَسَلَّمَ الْحَسْرَ مَا طَنَّتُمُ أَن يَخْرُجُوا وَطَنَّدُوا أَنْزَهُمْ مَا زِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّاهِ فَأَتَاهُمُ اللَّاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَّافَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ يُخْرِجُونَ بُيوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَدُوا يَا أُولَئِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

فانظروا إلى الصورة الأولى للمؤمنين "ما طَنَّتُمُ أَن يَخْرُجُوا" حيث أغلقت في نظرهم الأسباب، وفي القبال الصورة الثانية لغير المؤمنين "وَطَنَّدُوا أَنْزَهُمْ مَا زِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّاهِ" حيث تحصنوا بنظرهم بالأسباب .

فيبين متناس ليد الغيب حين أغلقت عليه الأسباب، وبين معول عليها غافلا عن يد الغيب، جاءت القوى التي تعلو على الأسباب لتفرض واقعا خارجا على الأسباب "فَأَتَاهُمُ اللَّاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَّافَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ" ليغير ذلك الواقع، جاعلا منه عبرة تكوينية لكل ذي لب "فَاعْتَدُوا يَا أُولَئِي الْأَبْصَارِ".

ولا تذهب بك المذاهب أن فرض يد الغيب عقيدة جبرية تقابل تفويض الإعتماد على الأسباب في مانعية

حصونهم، فإنهما طرفي أفراط وتفريط، بل يد الغيب تهيء سبباً غياباً للأخذ به أسماه " من حيث لم يَحْتَسِبُوا " كما يشهد له في الآية السابقة قوله تعالى " يُخْرِجُونَ بِمُؤْمِنِينَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ " فهو تعالى هيء السبب الغيبي وجعل الأخذ به من فعل العبد .

وصورة أخرى من صور يد الغيب في الساعات المغلقة ما كان لبني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام حين أدركهم فرعون بجنوده، وكان البحر أما مهم وفرعون من ورائهم، فأغلقت الأبواب عندهم وليس للأسباب سبيل ينتهيوا إليها: **فَأَتَبَعَهُمْ مُّشْرِقِينَ *** فـ**لَمَّا** تَرَاءَى الْجَمَاعَةِ **قَالَ أَصَاحَابُ مُوسَى إِنَّمَا لَمْ يُدْرِكْ كُونَهُ** [الشعراء: ٦١-٦٠]، غير أن المؤمن باليد العالية على الأسباب يجد سبباً فوقها يتعلق به ليكون خيطاً للأمل: **كَلَّا إِنَّ مَعْرِيَ رَبِّي سَيَهْدِنَا** [الشعراء: ٦٢] . فكان السبب الغيبي حاضراً، غير أنه تعالى جعله بيد موسى عليه السلام ليبقى قانون الأسباب والمبنيات جارياً، فقال تعالى له عليه السلام: **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ** [الشعراء: ٦٣] . مما عاد البحر هو البحر، ولا فرعون والجند هم الند.

وهناك حيث الإيمان بيد الغيب تعلو على الأسباب ينفتح باب الرجاء، ويذهب الخوف والقلق من القادر، ويأتي الفضل والرحمة : **إِلَّا ذِيَّنَ** قال **لَهُمُ النَّاسُ إِنَّهُمْ** قد جَمَعُوا لَكُم **فَآخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا** وَقالوا حَسْبُنَا اللَّهُمَّ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ * فَانْفَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران: ١٧٤-١٧٣] . فانظر إلى الإيمان بالغيب " وَقالوا حَسْبُنَا اللَّهُمَّ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ " ، كيف تعقبه الروح والرحمة" فَانْفَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ " مما عاد مع الإيمان بالغيب بباب مغلق إلا والرجاء مفتاحه .

فكن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن فوق كل سبب سبباً .

الإيمان بالغيب سمو ذاتي يبني النفس، ويعزز فيها فاعلية الحياة والاستفادة من فرصتها في التقديم للدار الآخرة.

والمؤمن من يجعل فوق الأسباب الطبيعية تدخلات يد الغيب في الساعات المغلقة ليفتح نافذة من الأمل والتفائل.

نعم طبيعة الإنسان في هذه الساعات التي تغلق عليه مفاتيح الأسباب الطبيعية تفرض عليه الشعور بالقلق، الذي يسد معه كل فرص الاستفادة من القابليات المودعة فيه، بما فيها التفاؤل والأمل الباقيين فيه محركية التغيير والبقاء.

والقرآن الكريم أهتم كثيراً في ربط الإنسان بالغيب ليأمن له استشعار حالة تجاوز الانغلاق وأثاره النفسية عليه، ليفتح له باب الإرتفاع فوق الأسباب الطبيعية.

وقد رسم القرآن الكريم صوراً متعددة لتدخلات يد الغيب في الساعات المغلقة ل يجعلها درساً تربوياً للإيمان بالغيب وخلق حالة نفسية سامية عنده وأملاً بناءً.

ومن هذه الصور ما ذكره تعالى لحالتين متقابلتين يجمعهما التعويل على الأسباب الطبيعية، مع أن أحدهما يفترض فيها أنها مؤمنة تختلف عن الأخرى بنظرتها، غير أنها قصرت نظرتها على الأسباب متناسية مسبب الأسباب ويده الغيبية، كما يبينه تعالى في قوله: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لَا وَلَا الْحَسْرٌ مَا طَانَتْنُتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَطَانَنُوا أَنْزَهُمْ مَا زَعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّاهِ فَأَتَاهُمُ اللَّاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَفَدَقَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ يَأْيِدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَدُوا يَا أُولَئِي الْأَبْصَارِ [الحشر: ٢].

فـا نظروا إلـى الصورة الأولى للمؤمنين "ما ظـنـنـتـم أـن يـخـرـجـوا" حيث أغلقت في نظرهم الأسباب، وفي القـبـالـ الصـورـةـ الثـانـيـةـ لـغـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ" وـظـنـنـوـا أـنـهـمـ مـاـزـعـتـهـمـ حـصـونـهـمـ مـنـ اللـهـ" حيث تحصنوا بنظرهم بـالـأـسـبـابـ .

فـبـيـنـ مـتـنـاسـ لـيدـ الغـيـبـ حـيـنـ أـغـلـقـتـ عـلـيـهـ الأـسـبـابـ، وـبـيـنـ مـعـولـ عـلـيـهاـ غـافـلاـ عـنـ يـدـ الغـيـبـ، جـاءـتـ القـوـىـ التـيـ تـعـلـوـ عـلـىـ الأـسـبـابـ لـتـفـرـصـ وـاقـعـاـ خـارـجـاـ عـلـىـ الأـسـبـابـ" فـأـتـاهـمـ اللـهـ" مـنـ حـيـثـ لـمـ يـحـتـسـبـواـ وـقـدـفـ فيـ قـلـوبـهـمـ الرـُّعـبـ" لـيـغـيـرـ ذـلـكـ الـوـاقـعـ، جـاعـلـاـ مـنـهـ عـبـرـةـ تـكـوـيـنـيـةـ لـكـلـ ذـيـ لـبـ" فـأـعـتـدـبـرـواـ يـاـ أـولـيـ الـأـبـصـارـ" .

وـلـ تـذـهـبـ بـكـ المـذاـهـبـ أـنـ فـرـضـ يـدـ الغـيـبـ عـقـيـدـةـ جـبـرـيـةـ تـقـابـلـ تـفـوـيـضـ الإـعـتمـادـ عـلـىـ الأـسـبـابـ فـيـ مـاـ نـعـيـةـ حـصـونـهـمـ، فـإـنـهـمـ طـرـفـيـ أـفـرـاطـ وـتـفـرـيـطـ، بلـ يـدـ الغـيـبـ تـهـيـءـ سـبـبـاـ غـيـبـاـ لـلـأـخـذـ بـهـ أـسـمـاـهـ" مـنـ حـيـثـ لـمـ يـحـتـسـبـواـ" كـمـاـ يـشـهـدـ لـهـ فـيـ الـآـيـةـ السـابـقـةـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ" يـخـرـ بـوـنـ بـُيـوتـهـمـ بـرـأـ يـدـيـهـمـ وـأـيـدـيـ الـمـؤـمـنـيـنـ" فـهـوـ تـعـالـىـ هـيـ السـبـبـ الـغـيـبـيـ وـجـعـلـ الـأـخـذـ بـهـ مـنـ فـعـلـ الـعـبـدـ .

وـصـورـةـ أـخـرىـ مـنـ صـورـ يـدـ الغـيـبـ فـيـ السـاعـاتـ الـمـغـلـقـةـ مـاـ كـانـ لـبـنـيـ إـسـرـائـيلـ مـنـ قـوـمـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـيـنـ أـدـرـكـهـمـ فـرـعـونـ بـجـنـودـهـ، وـكـانـ الـبـحـرـ أـمـاـمـهـ وـفـرـعـونـ مـنـ وـرـائـهـمـ، فـأـغـلـقـتـ الـأـبـوـابـ عـنـهـمـ وـلـيـسـ لـالـأـسـبـابـ سـبـيلـ يـنـتـهـيـ إـلـيـهـ: [فـأـتـبـعـهـمـ مـُشـرـقـيـنـ * فـلـمـّا تـرـأـتـ الـجـمـعـانـ قـالـ أـصـحـابـ مـوـسـىـ إـنـّـا لـمـ دـرـ كـوـنـ] [الـشـعـرـاءـ: ٦١-٦٠]، غـيـرـ أـنـ الـمـؤـمـنـ بـالـيـدـ الـعـالـيـةـ عـلـىـ الـأـسـبـابـ يـجـدـ سـبـبـاـ فـوـقـهـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ لـيـكـونـ خـيـطاـ لـلـأـمـلـ: [قـالـ كـلـاـ إـنـ مـعـريـ رـبـّـيـ سـيـهـدـيـنـ] [الـشـعـرـاءـ: ٦٢] . فـكـانـ السـبـبـ الـغـيـبـيـ حـاضـراـ، غـيـرـ أـنـهـ تـعـالـىـ جـعـلـهـ بـيـدـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـيـبـقـيـ قـانـونـ الـأـسـبـابـ وـالـمـسـبـباتـ جـارـيـاـ، فـقـالـ تـعـالـىـ لـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ: [فـأـوـحـيـنـا إـلـىـ مـوـسـىـ أـنـ اـضـرـبـ بـعـصـاكـ الـبـحـرـ فـأـنـفـلـقـ فـكـانـ كـلـّـ فـرـقـ كـالـطـّـوـدـ الـعـظـيمـ] [الـشـعـرـاءـ: ٦٣] . فـمـاـ عـادـ الـبـحـرـ هـوـ الـبـحـرـ، وـلـاـ فـرـعـونـ وـالـجـنـدـ هـمـ الـنـدـ.

وـهـنـاكـ حـيـثـ الـإـيمـانـ بـيـدـ الغـيـبـ تـعـلـوـ عـلـىـ الـأـسـبـابـ يـنـفـتـحـ بـابـ الرـجـاءـ، وـيـذـهـبـ الـخـوـفـ وـالـقـلـقـ مـنـ الـقـادـمـ، وـيـأـتـيـ الـفـضـلـ وـالـرـحـمـةـ: [الـلـّـذـيـنـ قـالـ لـهـمـ النـّـاسـ إـنـّـا النـّـاسـ قـدـ جـمـعـواـ لـكـمـ فـأـخـشـ وـهـمـ فـزـادـهـمـ إـيمـانـاـ وـقـالـواـ حـسـبـنـاـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ * فـأـنـقـلـبـواـ

بِنَدْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَهْلٍ لَمْ يَحْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضوانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَهْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]. فَانظُر إِلَى الإِيمَان بِالغَيْب " وَقَالُوا حَسِبُنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ " ، كَيْفَ تَعْقِبُهُ الرُّوحُ وَالرَّحْمَةُ" فَمَا نَقَلَّ بِنَدْعَمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَهْلٍ لَمْ يَحْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضوانَ اللَّهِ " فَمَا عَادَ مَعَ الإِيمَان بِالغَيْب بَابٌ مَفْلُقٌ إِلَّا وَالرَّجَاءُ مَفْتَاحٌ .

فَكَنْ لَمَا لَا تَرْجُوا أَرْجِيَ مِنْكَ لَمَا تَرْجُوا، فَإِنْ فَوْقَ كُلِّ سَبَبٍ سَبَبٌ .